تـربيـة الشباب رؤية تأصيلية

د. إبراهيم الصادق سالم محمد
أستاذ أصول التربية المشارك
رئيس قسم العلوم التربوية
جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

تربية الشباب (رؤية تأصيلية)

د. إبراهيم الصادق سالم محمد

مستخلص البحث

- هدف البحث لإيجاد منهج يضمن تربية الشباب في اعتداله للسلوك، وغرسه للفضائل، واتسامه بتكوين شخصية إرادتها المستقلة، متجردة من الخوف إلا من الله، في ظل الإحساس المتبادل مع المجتمع، من اجل الشهود الحضاري للأمة الإسلامية.
- اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، القائم على استنباط القيم من نصوص الوحي(قرآن وسنة). من أجل تجسيدها في نماذج حياتية تستوعب حركة ذلك الشباب في نطاق خارج عن قيد الزمان والمكان، ليتقي الله حيثما كان.
- توصل الباحث إلى أهم النتائج التالية:

١- الاعتزاز والافتخار بالشباب يرفع المعنويات ويهذب الأخلاق ويفتق الطاقات.

٢- الاهتمام بالطفولة لتكوين الملكات والأخلاق واكتشاف المواهب وتنميتها.

٣- المواءمة بين المادية والروحانية للعيش في سلام من أي صراع.

٤- بعث الأمل في نفوس القانطين والعفو عن الخاطئين تقديراً لمرحلة الشباب وماتنطوي عليه من فوارق في العواطف وقوة الغرائز وحدة الانفعالات.

- أوصى الباحث بالآتي:

١- القيام بالدراسات العلمية والتحليلية لمشكلات الشباب ومحاولة وقايتهم من مسبباتها.

٢- النهوض بدور الحضانة ورياض الأطفال حماية للطفولة واحتراماً للأمومة.

٣- تربية الشباب تربية تكاملية تهتم بجميع مراحل نموهم الجسدية والعقلية.

٤- بلورة الحلول الفكرية الأصيلة لأجيال الشباب بأساليب علمية رصينة تكون انطلاقات الشباب في المجتمع.

٥- إبراز تراث حضارتنا المشرقة لشبابنا ومقاومة حركة التغريب الفكري والاجتماعي.

مقدمة

الحمد لله القائل: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص٧٧].

والصلاة والسلام على خير القائل (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله إمام عادل و شاب نشأ في عبادة الله.....) (صحيح البخاري- ٦٤٠- باب الأذان- ٣٢٠).

تولي الأمم شبابها أكبر قسط من الرعاية والاهتمام حرصاً على غدها المرتقب ومستقبلها المنشود. ومرحلة الشباب تنطوي على رصيد ضخم من الإمكانات والصلاحيات لذا من الأهمية بمكان توجيه الشباب والاستفادة منهم في تلبية القيم الراشدة وتحقيق الأهداف السامية للأمة.

إن تردد الشباب العصري بين القيم العريقة والقيم الوافدة سبب له قلقاً موهنا وعناء

نفسياً رهيباً. ولما كان المصلحون المخططون لتربية الشباب ذوي ثقافات أجنبية مختلفة أصبح الشباب حقل تجارب للخطط المنقولة والفلسفات المستوردة ،فازداد حال الشباب سوءاً ومرارة ،وازدادت الأمة بشبابها تعاسة وشقاء، ولقد هرعت الأمم إلى التحسين من اجل تلافي ذلك السقوط ،فأنشأت دور الشباب المختلفة الثقافية والرياضية والاجتماعية وتحملت التبعات القاسية في الدفع إلى مناشط الشباب المختلفة ،ورغم ذلك لم تنجح في توجيه الشباب إلى ما تصبو إليه. بل عاش الشباب أزمة التردد بين العلم والدين، وبين المادةوالروح ، وبين الجديد والقديم، والمألوف الذي رسخ في أعماقه. كل هذا لأن جهود التشخيص والعلاج ،ومحاولات التقويم والإصلاح كانت تتم في غيبة عن المنهج الإسلامي الذي يضمن أنجح الوسائل.

ولما كانت المناهج والأهداف والوسائل والتطبيقات التربوية تتأثر بفلسفةالتربية من هنا كانت فكرة هذا البحث المتواضع تهدف إلى استجلاء تربية الشباب واستوحاءمبادئه ووسائله من فلسفة تربية تقدم الإسلام كرسالة حضارية إصلاحية غايتها الحفاظ على بقاء النوع البشري المتحضر ورقيه وتقدمه.

المشكلة:

أصبح المسلمون يتغنون بتراثهم بدلاً من أن يثروا الحياة من خلال ذلك الدين، حتى يدفع الشباب بأصالة وثقة ليقوم بدوره كشاهد على العصر يبشر بالتقدم والخير.

فما هي التربية التي تحقق البقاء والارتقاء للشباب.؟

ويمكن بلورة أسئلة يكون بالإجابة عنها إمكانية الوصول إلى حل تلك المشكلة.

أسئلة البحث.

١- ماخصائص تلك التربية ؟

٢- ما الأهداف التي تنتجها تلك الخصائص؟

٣- ما الوسائل التي تحقق تلك الأهداف ؟

منهج البحث :

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي لاستنباط القيم من تلك النصوص التي يحللها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١- إيجاد منهج يضمن تربية الشباب، اعتدالاً في السلوك واهتماماً بالمرحلة.

٢- غرس فضائل تتسم بتكوين شخصية لها إرادتها المستقلة في ظل الإحساس المتبادل بالجماعة، متحررة من الخوف، وإيجابية تظهر على السلوكيات في كافةمجالات الحياة.

٣- استلال وسائل تحقيق المبادئ والفضائل الإسلامية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في الآتي:

١- فهم الإسلام روحاً ومنهجاً هو الطريق لتحقيق الشهود الحضاري للأمة الإسلامية.

٢- تجسيد قيم الدين في واقع الحياة.يستوعب حركة الإنسان في نطاق خارج عن قيد الزمان والمكان.

٣- تحقيق التماسك الاجتماعي القائم على القيم الإسلامية

٤- الارتقاء والبقاء بالنوع الإنساني أساسه العدل.

مصطلحات البحث:

التأصيل: بناء المعارف والعلوم على نهج الإسلام.

الإيجابية: الاندفاع الذاتي للإنسان الناشئ عن استقرار الإيمان في قلبه.

المبحث الأول

خصائص منهج تربية الشباب.

المطلب الأول

الاعتداد بالشباب

الحمد لله القائل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] ويقول سبحانه في أهل الكهف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣].

والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم (القائل استوصوا بالشباب خيراً فإنهم ألين أكباداً وأرق أفئدةً وأن الله بعثني بالحق بشيراً ونذيراً) فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ.

إن مرحلة الشباب وموقعها الذي يتوسط مرحلتي الصبا والشيخوخة إنما تنطوي على رصيد ضخم من الإمكانات والصلاحيات لشبابها واستفادتها بهم في تلبية قيمها الراشدة وتحقيق أهدافها السامية. إن الإسلام يقدر ما في الشباب من طاقات ضخمة وأمانات هائلة، فإنهم قلب الأمة النابض، وعماد حاضرها الراهن، وأمل مستقبلها السعيد، إنهم زينتها في الرخاء، وعدتها في مواجهة الشدائد والخطوب.

شواهد التنويه بالشباب في القرآن الكريم:

أهل الكهف الذين تركوا أبهة الحكم وبريق السلطان فراراً بعقيدتهم وحرصاً على دينهم كانوا شبابا. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى • وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا • هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٣-١٥].

وكثير من أنبياء الله آتاهم الله الحكمة والعلم وهم لايزالون في سن الشباب فقد قال عن يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

وقال عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤] والأشد هو الشباب.

وقال عن يحي: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] والصبا مرحلة دون الشباب..

وإسماعيل شرفه الله واختاره مشاركاً لأبيه في بناء البيت قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٨].

وهكذا أولى الله سبحانه وتعالى الشباب ثقة وأسند إليهم كبار المهمات بل تمثلت هذه الثقة بأعظم مظاهرها في شخص كعيسى عليه السلام

إذ اختاره الله نبياً من أولي العزم ورسولا إلى بني إسرائيل.

وإذا كانت غريزة الجنس بمالها في الشباب من قوة وتسلط هي أقوى تيار يحتاج توازن الشخصية ويشوب استقامتها فإن الإسلام نبه على أن الانحرافات الناشئة عن هذه الغريزة ليست بالضرورة جزءاً لاينفصل من طبيعة الشباب بل من الممكن أن يقهر الشاب هواه ويقاوم غريزته ليستقيم بضبط النفس واستقامة السلوك وإن كان ذلك من قبل الندرة التي تثير العجب والإعجاب (إن الله ليعجب من الشاب ليس له صبوة) (عن عقبة بن عامر مسند الشام بني- حديث رقم١٧٠٣٨).

وقد سجل القرآن الكريم أحد النماذج الرائعة حين وصف موقف يوسف مع امرأة العزيز قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

شواهد التنويه بالشباب في السنة:

عندما هيأ الله لنبيه الهجرة إلى يثرب اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً كرم الله وجهه أن ينام في فراشه وقد جمعت له قريش من كل قبيلة فارساً ليفرقوا دمه بين كل القبائل وكان التكليف إلى علي كرم الله وجهه أن يرد الودائع إلى أهلها فما كان له إلا أن أطاع الأمر رغم ما يحدق به من مخاطر فكانت الشجاعة في أدق ساعاتها والأمانة في أقوى عزائمها. (ابن هشام- السيرة النبوية).

في غزوة الأحزاب غزوة الخندق عندما تسللت جماعة من المشركين فيهم عمر بن عبدود وطلب المبارزة تقدم وعلى رغم صغر سنه وأنشد عمرو قائلاً:

لقد بححت من النداء لجمعهم هل من مبارز

وقفت إذا وقف المشجع وقفة القرد المناجز

لذا فإني لم أزل واقف أقبل الهزاهز

إن المروءة للفتى والجود من خير الغرائز

فرد عليه علي كرم الله وجهه قائلاً:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

في نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز

أني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء تذكر عن الهزاهز

فتبارزا وقتل علي عمرو وعندما سئل علي كيف وجده قال يارسول الله في تلك اللحظة لو وضعوا المدينة في كفة ووضعوني في كفة لوزنتها. (شوقي ابو خليل- ١٩٨٣م).

وعندما شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح خيبر يقول لأصحابه (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه) (صحيح البخاري -٣٥٢٠ -باب مناقب علي بن أبي طالب - ص٤٧١٦).

ويبيت الصحابة ليلتهم وكل منهم يحلم بهذا الشرف العظيم حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ماتمنيت الأمارة قط إلاتلك اللحظة) فإذا كان الغد انتظر قرار الرسول صلى الله عليه وسلم في لهفة وقلق ويتفقد الرسول جيشه ثم يسال عن علي فيقال إنه أرمد فيرسل إليه فيتفل في عينه العليلة فإذا هي احد عينه أبصر ثم يدفع إليه بعلم المسلمين وهو لم يزل شابا وفي الجيش كثير من الشيوخ ذوي السن والبلاء في الإسلام.

وهذا أسامة بن زيد يقربه الرسول صلى

الله عليه وسلم ويخصه بكثير من حبه ورعايته وهو في أوائل عهد الشباب إلى حد أن بني مخزوم استشفعوا به في رفع حد السرقة عن واحدة من أشرافهم وذلك لمايعلمونه من مكانته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خاطبه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يخاطب أي راشد من أصحابه أي دون استهانة لسنه أو انتقاص من شبابه أتشفع في حد من حدود الله ياأسامة إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) (صحيح البخاري- عائشة بنت أبي بكر الصديق- باب حديث الغار-٣٣٠٦).

ولقد بلغ من ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم بأسامة وإيمانه بطاقاته ومواهبه أن أسند إليه قيادة آخر جيش جهزه لغزو الروم وكان أسامة حين إذن في السادسة عشرة من عمره. وانتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى قبل تسيير هذا الجيش فوجد الصحابة في أنفسهم شيئا من هذه القيادة وفيهم أصحاب التمرس بالحرب والبلاء الطويل في خدمة الإسلام فكيف تحول القيادة من هؤلاء جميعاً إلى هذا الحدث الصغير.

ولكن الخليفة الأول أبا بكر الصديق يؤكد للجميع بأن الجدارة لاينبغي أن تقاس بالسنوات ربما الشباب كانوا أحسن قيادة.

نستخلص من ذلك كله اعتداد الإسلام بالشباب وتنويهه بما فيه من طاقات وإمكانات وحسنا أن نشير إلى أن بداية الشباب تقترن في الإسلام ببداية التكليف الشرعي وأهلية الجزاء والمساءلة.ويعدد الرسول صلى الله عليه وسلم الأصناف السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلا إلاظله – شاب نشأ في عبادة الله.) (رواه البخاري – باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة –ج١– ص٢٣٤– رقم الحديث٦٢٩).

المطلب الثاني

الاهتمام بالطفولة

الطفولة هي الينبوع الذي يمد صاحبه بمعلوماته الأولية ومعارفه الأساسية عن الأشياء إذ فيها يبدأ تكوين المواهب والملكات والأخلاق الفردية لذلك لابد أن نعطيها قسطاً مناسبا من الرعاية لهذه المرحلة الخطيرة التي يمتد أثرها عبر حياة الإنسان كلها ويعرض علينا القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام إذ لم يصرف يعقوب عليه السلام جلال النبوة عن حنان الأبوة فهو يجلس إلى ولده الصغير ويستمع لخواطره ومستقبله قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ • قَالَ يَابُنَيَّ لَاتَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ • وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٤-٦] وتمر السنوات الطوال ويعايش فيها يوسف قصة حافلة بأحداث الحياة ولكن مشاهد الطفولة لاتغيب قط عن ذاكرته فهاهو في نهاية القصة يذكر أباه بهذه الرؤيا التي يطول بها العهد ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ

رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠] ماذا بعد هذا اللفت الإلهي الكريم إلى العناية بالطفولة. (سيد قطب الظلال- ج٣-١).

إن أهم ما يتسلل إلى النفس الدين الذي يعتنقه المرء أو الذي يختاره له أبواه بواسطة بيئته الصغيرة دون قصد منه ولا تمحيص الأمر الذي يؤكد خطورة هذه المرحلة وعمق أثرها في حياة الفرد والجماعة وهذا ما يشير إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (رواه البخاري ومسلم - تفسير بن كثير- الباب رقم ١٧ الجزء٤ ص٣١١).

لا عجب عندما ترى الإسلام يردد كلمات الأذان في أذن الطفل اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى حتى تنطبع مبادئ العقيدة الصحيحة في نفسه التي لا يفوتها مرئي من الصور ولا مسموع من الأصوات. و للأسماء والكنية أثر قوي على صاحبها يظهر في علاقاته المختلفة بالناس منها ما يدعو إلى التفاؤل والاستبشار ومنها ما يدعو إلى التشاؤم والانقباض ومنها ما يبعث على التقذيذ والنفور لذا جعل الرسول صلى الله عليه وسلم حق الولد على أبيه أن يحسن اسمه وكنيته. (عبدالله ناصع علوان - تربية الأولاد- ١٩٨٥م).

لمكانة الصلاة بين أركان الإسلام والصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين).....شعب الإيمان الإلهي – (باب الصلاة-رقم الحديث ٢٦٧٧). أهميتها صنع الكيان النفسي السوي وصياغة العلاقات الاجتماعية السليمة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع) (تفسير القرطبي ج١٨ ص١٩٥(مسندج١١- ص٤١٩)..

ومراعاة الآباء سلوك أطفالهم وانفتاح القلوب لخواطرهم الهشة ومشكلاتهم الصغيرة وحل هذه المشكلات وتنويع ذلك السلوك على أساس بين الحب والرحمة الدافعة كفيل بالقضاء على أسباب التعقد النفسي الذي يصيب الأطفال في هذه السن الحرجة ويكون له أثر خطير في مستقبلهم.

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يخالط الأطفال من آل البيت وأبناء الصحابة وينزل إلى مستوى حياتهم الناعمة ومشكلاتهم الهينة حتى إذا أنسوا به وسكنوا إليه أخذ يستل من أنفسهم رذائل الخصال ليغرس مكانها فضائل السلوك يروي عبد الله بن عباس أن الرسول كان يؤاكله وهو طفل وأنه قال له ذات يوم موجهاً (يا غلام إذا أكلت فسمِّ الله عز وجل وكل بيمينك وكل ممايليك)..... (مسند الحميري /عمر بن أبي سلمه /ج١). كان الرسول صلى الله عليه وسلم شديد الحساسية تجاه مشاعر الأطفال دخل عليه الأقرع بن حابس وهو يقبل أحد أحفاده فقال متعجباً إن لي عشرة أولاد لا أقبل منهم أحداً قال له رسول صلى الله عليه وسلم وماذا أملك لك وقد نزع الله الرحمة من قلبك) صحيح البخاري –باب رحمة الولد وتقبيله– (كتاب الأدب–رقم٥٦٥٨ ص٨٤١).

المطلب الثالث

الوسطية المعتدلة

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يكون أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم) (الترمذي-٢٠٠٧-ج٤- ص٥٦٤).

اتسمت التربية الإسلامية بالوسطية انطلاقاً من وسطية الإسلام وسطية الأمة المسلمة المشار إليها في الآية الكريمة المذكورة أعلاه.وهي وسطية في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ووسطية في التصور والتفكير ووسطية في الإنسان والمجتمع من الانحراف من الجوانب المادية والمعنوية.التربية الإسلامية في عنايتها بالوسطية تحرص على تكريم الإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره في جوانب الاعتدال والتسامح بصوره لا مجال معها للانحراف العقائدي والاجتماعي والوسطية وسيلة لتحقيق خيرية الأمة الإسلامية والحاجة إلى غرس مجالها لدى شباب المسلمين اليوم أكثر من أي وقت مضى نظرا لشدة الهجمات الموجهة ضد الإسلام والمسلمين. (محمد عبد السلام العجيمي-٢٠٠٧م).

مادام الإنسان مركز الهيمنة المتصارعة تتأرجح به بين صغار الغرائز وسمو الروح وبين أثرة الفردية ولذة الانتماء فليس من العدل أن يفرض عليه أحد الطرفين دون سواه والإسلام لا يجرد أبناءه من علائق المادة وأشواقها ولا يكبح في أنفسهم جماح الشهوة بالكبت والإحباط وإنما يوائم فيهم بين المادية والروحانية ليعيشوا فيه من صراع أنفسهم في سلام. (خليل ابو العينين- فلسفة التربية الإسلامية-١٩٩٩م) يلخص هذا الموقف المعتدل قول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] ويقول تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] هذه الآية تعادل بين المادية والروحانية وتعادل من جهة أخرى بين الحس الفردي والانتماء الجماعي بشكل يحل مابينها من عقد الصراع وبذلك يشيع السلام في الأرض وتنمحي منها أسباب التمزق والفساد (سيد قطب الإسلام والسلام العالمي ١٩٨٣م).

من أهم غرائز الجسم ذات الخطورة في هذه السن هي غريزة الجنس هي قوة هائلة يمكن أن تدمر القيم والأخلاق السائدة إذا أرخي لها العنان كما يمكن أن تدمر صاحبها إذا فرض عليها الكبت والإحباط.ومن توجهات الرسول صلى الله عليه وسلم (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء). (صحيح البخاري- كتاب النكاح- وباب قول النبي صلى الله عليه وسلم من استطاع-٤٧٧٩. ص٦).

ويروى أن ثلاثة من الصحابة سألوا عن عبادةالرسول صلى الله عليه وسلم فكأنهم تقالوها

فقالوا :– مالنا ولرسول غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر.فقال أحدهم أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال الثاني أنا أقوم الليل ولا أنام وقال الثالث أنا أعتزل النساء فبلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لهم أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ قالوا نعم فقال لهم: والله إني أتقاكم لله ولكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني). (صحيح البخاري باب الترغيب في النكاح –حديث رقم ٤٧٧٧– ص٥١٥). هذا الحديث يرسم صورة دقيقة ووافية لرعاية حقوق الجسم ومطالبه إلى حد لاينبغي معه زيادة لمستزيد.

أما حظ الروح من التربية الإسلامية أو حظ النفس بما تداوله الكتاب.إن النفس في مفهوم الكتاب هي مركز لتلقي وساوس الشيطان ونزعاته ولذلك فهي مصدر كل مايقع من رذائل وشرور قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠] وقالت امرأة العزيز من محاولتها إغراء يوسف ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقال السامري بعد أن أقر بجرمه في إضلال بني إسرائيل ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦] وسن الشباب هي أنسب مناخ لورود الزيغ الشيطاني بأعلى مظاهره وذلك لتمتعها بالحيوية والطاقة وفتوة الأعضاء التناسلية وتغييراتها الوظيفية ورغم ذلك تستطيع التربية الراشدة أن تلعب دوراً خطيرا في تهذيب غرائز النفس وتوجيه طاقاتها نحو الخير حينئذ ينبعث فيها ذلك القبس الإلهي الذي يعرف عند علماء الأخلاق بالضمير الخلقي.

والضمير الخلقي في. مفهومه الإسلامي ليس فطرياً بل أمر يكتسبه الإنسان عن طريق التربية الدينية والممارسة الفعلية المستمرة للقيم الخلقية فالدين أو التدين وما ينشأ عنه من مراقبة دائمة وخشية لله ومن إحساس بهيمنة الله واطلاعه على ماظهر وما بطن من حياة الإنسان وهو الأساس الذي يقوم عليه الضمير الخلقي في الإسلام) (عمر محمد توم الشيباني ١٩٨٨). وهذه القوة هي التي يسميها القرآن الكريم بالنفس اللوامة والأشبه بظاهرة التنزيل هي التي يلزم صاحبها على الخير والشر وتندم على مافات (تفسير بن كثير سورة القيامة ج٣- ص٥٧٤) وتواصل التربية الإسلامية دورها في تهذيب النفس وتقويمها ويحكم الضمير رقابة على خواطرها وهمومها حتى تصل إلى درجة من السكون إلى الخير لاتزايلها إلاقليلاً وهي درجة النفس المطمئنة التي يشير إليها قوله سبحانه: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ • ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً • فَادْخُلِي فِي عِبَادِي • وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٨-٣٠] وكهذا يولي الإسلام كلاً من الجسم والنفس مايستحقه من اهتمام ويقف بذلك موقفاً معتدلاً بين تطرف الماديين وتشدد الرهبان.

أما بالنسبة لمشكلة الفردية والانتماء فالإنسان كفرد له كيان خاص وحاجاته الشخصية ومن حقه أن ينظر بعين الاعتبار إلى هذا الكيان. وللجماعة حيال الفرد حقوق ينبغي أن يقوم بها دون مطل ولا تقصير. والإسلام لايفتأ ينمي في الفرد إحساسه بالجماعة ومسؤوليته عنها من أجل

هذا شرع الكثير من العبادات-كالصلاة والصوم وحج وزكاة مما يربط المسلم ببيئته ويؤمنه ربطاً قوياً يصدق عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. (آداب الصحبة-رقم ١ -باب المسلمون جسد واحد-٨٣٣٧).

والتوجهات القرآنية المتكررة تقرن المظهر الشعائري للعبادة بالمظهر الاجتماعي الذي أهم تطبيقاته بذل المال والتوازن الاقتصادي وما يفرزه هذا التوازن من تزكية للأفراد وعلاقات للجماعات. فالإيمان دوماً مقرونٌ بالعمل ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾.

إن الأهمية التي تجعل العبادة تحتل هذه المكانة -العلة الرئيسة للخلق والإيجاد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] تلبي الحاجات الأساسية والفرعية وهذه الحاجات هي:

الحاجة إلى الخلود: والعبادة تلبي حاجة الإنسان في الخلود تهوين ظاهرة الموت وتنزع عنها هالات الرعب والاضطراب وتقدمها كحلقة في سلسلة التطور الإنساني المفضي إلى الخلود والكمال في عالم الآخرة القادم.

الحاجة إلى الانتماء: علاقة العبادة بمفهومها الشامل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأفعال والأقوال والأعمال والأفكار والمشاعر والعواطف في حياة الأفراد والجماعات في جميع المبادئ الفكرية والاجتماعيةوالسياسية والاقتصادية والعسكرية وغير ذلك. (ماجد عرسان - فلسفة التربية الإسلامية. ٢٠٠٢م) تجعل الانتماء إلى الله وحده وبذلك تتوحد محاور الولاء في محور واحد وتمتزج دوائر الانتماء في دائرة واحدة الأمر الذي يعزز الوئام والسلام في حياة الإنسان.

الحاجة إلى الحب والاحترام : الحب في الحقيقة تبادل وعطاء وأرقى مستوياته ماكان عطاء دون مقابل والله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يعطي دون أن يعطوه شيئاً ودون أن يتوقع منهم مقابلاً ونماذج الحب التي تقدمها التربية المنقطعة عن علاقة العبادة تتصف بالآتي:

- تركز هذه الحاجة في الشهوات الحسية.
- تحيلها إلى تبادل الأخذ دون العطاء.
- تبترها عن حاجة الخلود وحاجة الانتماء.

لذلك تتخذ شكل العلاقات الشهوانية الموقوتة والمصالح العارضة المتلونة وتنتج عنها انحلال في النفس والسلوك والاجتماع.تختلف علاقة العبادة عن غيرها في أنها تقدم حاجة الحب كعطاء إلهي يمتد عبر الدنيا والآخرة في دوائر أوسع ومحاور أشمل تشمل المظاهر الفكرية والنفسية والمادية التي تتمثل في أشكال عديدة من الأخوة الإيمانية والمودة الاجتماعية والتراحم الإنساني. تتسع دائرة هذا الربط لتشمل غير المسلم من المشاركين له في رابطة الإنسانية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الخلق عيال الله أحبهم لله أنفعهم لعياله) (مسند أبي يعلي الموصلي - رقم٣٢٢٤- ص١٧٩٦).

المطلب الرابع

تقدير طبيعة المرحلة

تنطوي طبيعة الشباب على ثوران في العواطف وقوة في الغرائز وحدة في الانفعالات. ينظر الإسلام إلى هذه المرحلة نظرة واقعية تتسم بالتقدير الموضوعي لمزالقها ومشكلاتها.ويرسم الإسلام أكثر من صورة لنزوات الشباب ثم نزول الصورة إلى توبة من الذنب صادقة وعزم على خير أكبر فهاهو عبد الله بن أبي بكر يجادل أبويه في أمر البعث جدالاً يكشف عن تحجر وعناد ولكنه لم يلبث مع الأيام أن يسكن إلى نور الحق ليكون من سواعده الفتية منافح في حماس عن معتقده الجديد قال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧]

ويرسم القرآن صورة لإخوة يوسف عليه السلام وقد لعبت بأخلاقهم حماقات الشباب ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨] ثم ائتمروا بأخيهم يوسف والقوه في غيابة الجب وبعد كل ذلك تاب إليهم رشدهم بعد ما لقنوا من دروس الأيام فسارعوا بالتوبة وطلبوا العفو.

وينقل القرآن موقفاً يجمع بين رقة العاطفة ومرونة الحكم فيقول في حوار الإخوة مع يوسف يقول تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ • قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩١-٩٢]. ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ • قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٧-٩٨] ويرسم القرآن صورة لاينتهي فيها اندفاع الشباب عن التوبة والاستقامة فحسب وإنما ينتهي إلى جلال النبوة وحمل أعباء الرسالة ليعلم الساخطون أن الاندفاع لا يعني اليأس من صلاحهم وإنما هي سمة من سمات المرحلة تنتهي غالباً بزوال دواعيها وملابساتها الموقوتة.

القرآن الكريم يحكي موقفين وماسادهما من شعور نفسي لموسى عليه السلام فيقول تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ • قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ • قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ • فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥-١٩].

وموسى نفسه هو الذي صار نبياً بعد سنوات اصطفاه الله برسالاته وبكلماته وأتمنه على تبليغ تعاليم السماء إلى أصل الأرض (رفقي زاهر ١٩٨١- ص٣٨).

ومن هذا كله نستخلص توجيهات إسلامية مهمة نتعامل بها مع الشباب تقديراً لظروف المرحلة التي يمرون بها ومن تلك التوجيهات:

١- لا توصد أبواب الرحمة أمام الخطآئين من الشباب وإنما نبعث الأمل في نفوس القانطين

منهم ونمنيهم بعفو الله قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

٢- النصح بالحكمة والمرونة حتى تكون سهلة المأخذ ميسورة القبول قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن مظاهر الحكمة الاستدراج إلى الخير فليس من السهل أن تنتزع شاباً من مأثمة يربطه بها الألف الطويل واللذة العارمة لتلزمه بتكاليف خلقية صارمة وتفرض عليه واجبات دينية ثقيلة دون أن يمهد لذلك بوسائل الإقناع وأساليب الترغيب.

٣- ألا نقف بالشباب عند حدود الماضي وإنما يستشرفون آفاق المستقبل وأن نغرس فيهم من الخلق والثقافة ما يعينهم على مواجهة مستقبلهم بكل ظروفه المتوقعة (لا تكرهوا أولادكم على آثاركم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) (الشهرستاني- الملل والنحل- الجزء ٨).

المبحث الثاني

الأهداف التربوية لتربية الشباب

التماساً لنموذج تلك الفلسفة و استلهاماً لروح أهدافها إن القيم الإسلامية التي تهدف الفلسفة لتحقيقها تبدأ بالواقعية وتنتهي بالمثالية ومن خلال ذلك نجد أن أسس منهج الإسلام قد تحدد شيئا ما ولكن نريد مزيداً من التحديد وهذا ما يتضح من خلال عرض أهدافه ووسائله لتحقيق هذه الأهداف من أجل تكامل الشخصية لما لها من أثر قوي في تحقيق خير الفرد والجماعة على حد سواء وتلك الأهداف هي:

أ- استغلال الإرادة

ب- واقعية التصور

ج- الإحساس بالجماعة

د- التحرر من الخوف

هـ- الإيجابية.

المطلب الأول

استغلال الإرادة

إن أوامر الدين الحق ومبادئ الأخلاق الفاضلة لا تصطدم بحرية الإنسان ولاتتنافى مع طبيعته العاقلة بل هي في حدود ضرورية لإطلاق حريته وتأكيد ذاته.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا لم تستحِ فاصنع ماشئت) (احمد بن حسين- باب الحياء-حديث رقم ٤١٨٠ ص٢٢٢٢). ولكن هنالك قيوداً صنعها المجتمع لأفراده وقبلها الأفراد راغبين أو راغمين وإنها لتطمس كل مضيء للتقدم وتطفئ كل بصيص للحرية وقد تستمد قوتها من سلطان العرف أو قداسة التراث وخطورة هذه الآراء تتضمن تقليدا وعادات وطقوساً فمن الممكن أن تخمد في الإنسان روح التطور والنماء وليس من اللائق بكرامة المسلم أن تذوب إرادته في حطام الإرادات وإمعة يتبع الناس وفي ذلك ورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت وان أساؤوا أسأت ولكن وطنوا

أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وان أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم) (سنن الترمذي ج٤- ٢٠٠٧ ص٥٦٤).

فيجب النظر في آراء السابقين وتقاليدهم الموروثة، فما كان مجرد السبق أن يمنحها القوة أويخلع عنها ثوب القداسة، ولقد نهى الله على أولئك الذين رفضوا دعوات الأنبياء اكتفاءً بما ورثوا من عقائد الآباء قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣]. وآراء السادة المشاهير ليست هي الأخرى معصومة من الخطأ، ولا مضمونة الصواب. وإذا لم يكتشف التابع ضلال متبعه في الدنيا فسيكتشفه في الآخرة، ونقل القرآن هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة حثا على تحطيم قيد التبعية، فيقول على لسان التابعين: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ [الأحزاب:٦٧]. لذا ينبغي أن يربأ الشباب بفعله عن ضلالات البيئة وخطاياها بل أن تعلو همته إلى محاولة التغيير والإصلاح كأثر من آثار الغيرة على المبدأ. وثمرة من ثمار الإرادة المستقبلية.

المطلب الثاني

واقعية التصور

يقصد منها إنشاء تصور صادق عن الكون مستقى من مصادر صحيحة للمعرفة. تنبثق فلسفة التربية الإسلامية من عقيدة التوحيد وهي تعمل للوصول إلى غايتين هما بقاء الإنسان ثم الارتقاء به إلى المستوى الذي يليق بمكانته في الوجود. (ماجد عرسان الكيلاني ٢٠٠٢م ص٢١) وتحقق للإنسان الخلود ثم الرقي ثم تتشكل علاقاته بالخالق والكون والإنسان والحياة الآخرة كما يلي :

- العلاقة بين الخالق والإنسان هي علاقة عبودية.
- العلاقة بين الإنسان والكون علاقة تسخير.
- العلاقة بين الإنسان والإنسان علاقة عدل وإحسان.
- العلاقة بين الإنسان والحياة علاقة ابتلاء.
- العلاقة بين الإنسان والآخرة هي علاقة مسؤولية وجزاء.

وبما أن هذه العلاقات متصلة بموضوعات دينية بذلك ينشأ الشباب متشبثاً بالأسلوب العلمي متقبلا لما يرد إليه من علم بأحسن القبول لان محور هذه العلاقات كلها علاقة العبودية (ماجد عرسان- فلسفة التربية الإسلامية ص٨٣).

المطلب الثالث : الإحساس بالجماعة:

الإنسان بطبيعته مدني حيث ولد وتربى وترعرع في أحضان أسرة تبادله الحب والتحنان والمودة ويتمنى لها دوماً الصحة والعافية قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا • وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

فالشعور بقدسية الحقوق والواجبات تعمل على إيجاد المواءمة التي بها يخفف عناء الحياة لما ينجم عنها من تكافل وتراحم وتواد. وقد فعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بأدق تصوير حيوي إذ قال :- مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر

والحمى) (صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم- ٥٦٧١- ص٨٣٣٧).

ولهذا تحاول الكثير من الأمم أن تنمي في نفوس أبنائها الإحساس بالجماعة والتضحية في سبيلها بالمصالح الشخصية والمنافع الذاتية. قد أولى الإسلام هذا الموضوع كثيراً من عنايته واهتمامه مع الاحتفاظ للفرد بكيانه الشخصي. فالجوار رابطة لها قداستها واحترامها وقد استشعر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في تأكيد جبريل للوصية بالجار قال:(مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه (صحيح البخاري- كتاب الأدب-باب الوصايا بالجار- رقم ٥٦٧٤- ص٢٥٥).

ولاتقف مسؤولية المسلم عند حدود القرابة والجوار وإنما تتجاوز ذلك لتشمل جميع المشاركين في الدين على اختلاف أنسابهم وتباعد ديارهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠] الأخوة أدناها سلامة الصدر وأعلاها الإيثار(إبراهيم محمد عطا....٢٠٠٢م). ويدخل في إطار هذه المسؤولية التضحية بالنفس والمال لدرء أي خطر يزحف عليهم أو على من ينظمهم والمسلم ليستشعر من توجيهات دينه ومسؤوليته عن المخالفين له في العقيدة إن هم اعتصموا بالمسالمة والتسامح وابتعدوا عن روح التعصب والعدوان قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] تلك هي جوانب المسؤولية التي ينبغي لكل شاب أن يصيبها وينهض بها والمسلم حين يتصدى لحمل عبء لا يهدف إلى جهد مادي أو ثواب معنوي إنما يحدوه ذلك ارتباطه بالخالق ويقينه أنه برعايته لحقوق الخلق إنما يستكمل تكليفه ويؤدي أمانته. (حسن الترابي-١٩٩٨م).

المطلب الرابع

التحرر من الخوف

إن دور الإنسان في هذه الحياة هو العمل على إعمار هذه الأرض، والعمل قوامه الإرادة العازمة والقدرة التسخيرية (ماجد عرسان - أهداف التربية الإسلامية ٢٠٠٥م) والخوف أشر ما يشل إرادة الإنسان ويثقل حريته وإذا تملكت المرء صورة من صور الخوف أسلمته إلى رذيلة منكرة يتعذر خلاصه منها إلا بزوال سببها وهو أمر عسير و إلا فتنحرف به عن سواء السبيل.لذلك يستنكر الإسلام كل صور الخوف وأنواعه ماعدا نوعاً واحداً هو الخوف من الله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آلعمران: ١٧٥].

وبالخوف من الله والاستعانة بحكمته وتدبيره تزول أشباح الخوف والرهبة مما سواه قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آلعمران: ١٧٣] والخوف من المستقبل لامسوغ له مادمت تخطط له وتسعى إليه على أساس من تقوى الله قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] وأكثر صور الخوف مطاردة الناس وإلحاقا عليهم هما صورتا الخوف من الفقر والموت.

وقد علمنا الإسلام أن نواجه الخوف من الرزق بالضرب في مناكب الأرض ونلتمس الرزق من الله قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] وفي الحديث الشريف (لوتوكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) (مسند احمد- ٢٠٦- كتاب الرفاق ص٨٩). وما على المرء إلا أن يسعى لتحصيل رزقه مع التوكل الدائم على من تكفل بالرزق. أما مسألة الأجل فقد اقتضت حكمة الله أن يكون لكل امرئ عمره المقدر الذي لا يماطل فيه الخوف ولاتزيد منه الشجاعة ولا تملك أي قوة أن تقدم في ذلك أو تأخر قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥] بل على المؤمن أن يحرص على الموت ولكن ابتغاء مرضات الله قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آلعمران: ١٠٢] والسنة النبوية تفصل في مسألتي الرزق والأجل فصلاً في غاية الروعة والتوفيق قول الرسول صلى الله عليه وسلم (ألقى في روعي الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها وأقصى أجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب) (جامع معمر بن راشد -٧٠٥- باب القدر). فهي تقرر أنهما محدودان وتقرر عجز الخلائق عن التغير فيها فما على المرء إلا السعي والإجمال في الطلب وعليه أن يستتبع هذا التحرر التخلق بالعزة والتمسك بالكرامة. (محمد الغزالي- عقيدة المسلم- ١٩٩٨م) ورفض ألوان المذلة والهوان وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من تضعضع لغني فقد ذهب ثلثا دينه) (شعب الإيمان للبيهقي -٩٦٥٤- التاسع والثلاثون) فإن ارتبط الذل بأرضه التي يقيم فيها وبيئته التي يعيش فيها فإن له مراحاً فسيحاً في أرض الله وعليه أن يختار من المواطن مايجد فيه الحياة العزيزة والعيش الكريم. فالمؤمن ارتباطه الروحي بالوطن الذي تستقر فيه قيم الإسلام وتسود مبادؤه.

والمسلم كما يستبدل وطنه سعيا إلى مبادئه وأخلاقياته فأحرى به أن يستبدله علمه وسكنه مثلا تحقيقا لهذه الغاية ويحدث ذلك عندما يعجز عن تغيير العلاقات الاجتماعية بما يتفق مع قيمه ومبادئه ولكن عند بعض الناس والشباب خاصة قد تنشأ عندهم بعقدة الكرامة بما يظن أنه فيه مساس لكرامتهم فيثورون لأهون البواعث وأتفه الأسباب (وفقي زاهر ص٦٣) والإسلام يبعث في هؤلاء نزعة التريث وضبط النفس بل العفو عند المقدرة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من ملك نفسه عند الغضب) (صحيح البخاري- ٤٨٣٠- كتاب الأدب- باب الحذر من الغضب).

المطلب الخامس

الإيجابية

الإيجابية تعني التقدم بما هو صحيح حتى يفضي إلى النتيجة المرجوة وكل إيجابي لا يكون من فراغ وإنما تسبقه مقومات ومؤهلات تمهد له الطريق. فمقومات هذه الإيجابية هي الفضائل

الأربع التي سبقها من استغلال الإرادة، واقعية التصرف،،والإحساس بالجماعة، والتحرر من الخوف. فهي الثمرة المرجوة التي تنزل من تلك الفضائل منزلة النتيجة من المقدمات. الإيجابية استعداد نفسي تظهر بذرته في سن مبكرة ولكنها تنمو بالمران والتربية ولها صور مختلفة ومظاهر متعددة منها الإيجابية في الرأي والقول، الإيجابية في الفعل والممارسة، الإيجابية في الريادة والابتكار، والإيجابية في اتخاذ القرار.

أ -إيجابية الرأي والقول :

على صاحب الرأي أن يعرض رأيه في هدوء، ويقنع به في موضوعية ويدافع عنه بإصرار، كل ذلك مخرجات الفضائل الأربع التي ذكرت من قبل، ومما يجعل الرأي ويجعله مقبولاً مبدئياً إذا توافر فيه أمران :

الأول : لا مجال للرأي والمنافسة في أمر إلهي واضح الدلالة، لا اجتهاد مع النص.

الثاني : قبول الرأي المخالف إذا اقتنع به دون مكابرة أو عناد.

الحباب بن المنذر يشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول (أمنزلة أنزلك الله إياها أم هي الحرب والمكيدة) (ابن هشام-السيرة النبوية)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو الرأي والحرب والمكيدة فاقترح أن ينزل المسلمون بأدنى ماء من بدر بحيث يشربون ولا يشرب أعداؤهم فيكون سبباً من أسباب قوة المسلمين وضعف المشركين.

ب- إيجابية الفعل والممارسة :

إن مجرد الرأي لا يكفي لتحقيق الأهداف المنشودة، بل لابد أن يسهم كل فرد بجهد عملي يطبقه للخروج إلى حيز التطبيق، وميزان العمل يرجح دائماً جهد الشباب بما منحهم الله من قوة السواعد وخفة الحركة ومتانة البنيان.

ج- إيجابية الريادة والابتكار :

عندما تجمد الأمة عند موروثاتها من المظاهر الضارية والعمران وألوان الثقافة والفنون بحيث يكون كل جيل نسخة مكررة من الجيل السابق فهي أمة موشكة على زوال قريب لذلك نرى أن الدول المتقدمة تلتمس ملكات الابتكار في شبابها على وجه الخصوص وتتعهد تلك الملكات بالنقل والرعاية بل تمهد سبل الريادة أمام المتازين في كل جيل وبقدر ماتبذله الدولة في توجيه المواهب ورعاية النابغين وتشجيع المتازين تحصد من أسباب التقدم والنهوض. وهاهو تميم الداري يضع أول منبر في الإسلام ولم تكن البيئة العربية عرفت المنابر من قبل فبارك الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المحاولة الرائدة ويصعد درج المنبر وهو يدعو لتميم بأن يبارك الله في ولده وماله فكان له عشرة أولاد كلهم يحفظون القرآن الكريم وكان له بستان يثمر مرتين في العام في الصيف مرة وفي الشتاء مرة.(رفقي زاهر مرجع سابق).

ومن مظاهر الحضارة الحربية في الإسلام فكرة حفر الخندق في غزوة الأحزاب فقد اقترح ذلك سلمان الفارسي وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باقتراحه.

د- إيجابية اتخاذ القرار:

إن حاجة الشباب إلى إيجابية اتخاذ القرار ملحة أشد الإلحاح لأنهم يواجهون كل يوم فرص الاختيار الكبرى التي تحدد مستقبلهم وتوجه

حياتهم كالاغتراب والبعثات إلى الخارج وأكثر من هذا يتولون مسؤولية الإدارة والإشراف في الأمة بحكم مؤهلاتهم العلمية التي أصبحت من أهم المعايير في تولي الوظائف القيادية.

وقد تضمن الإسلام كثيراً من الأمثلة والتوجيهات التي من شأنها أن تنمي في المرء ملكة صنع القرار المسؤول في وقته المناسب ومن ذلك:-

١- اختيار الكفر والإيمان قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] أيضاً قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

٢- رفع الإسلام وصايا الآباء وعلى أبنائهم في اختيار شريك الحياة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الثيب تعرب عن نفسها والبكر رضاها صمتها) (سنن ابن ماجة-١٨٦٨- كتاب النكاح- باب استئمار البكر والثيب).

٣- ومن القضايا التي تتعلق بالأمة أو الجماعة وينتقل بصاحب القرار بصنعته القيادية أو الأخلاقية ماحدث في سرية مؤتة.

جهز الرسول صلى الله عليه وسلم جيشاً لحرب الروم فولى القيادة زيد بن حارثة ثم أوصى الجيش إن استشهد زيد أن يولوا جعفر بن أبي طالب وان استشهد جعفر يولوا عبد الله بن رواحه وكتب الله الشهادة للقادة الثلاثة ولم ينته القتال بعد فاتفقت كلمة الجيش على إسناد القيادة خالد بن الوليد وواجهت خالد ظروف صعبة يتحتم اتخاذ قرار سريعاً وسرعان ما أسعفته عبقريته العسكرية لهذا القرار فغير وضع فصائل الجيش فجعل المقدمة مؤخرة والميمنة ميسرة والميسرة ميمنة وصبح الأعداء بوضع جديد للجيش فرأوا وجوهاً لم يروها ونظاماً لم يعرفوهفتصوروا أن المسلمين جاءهم إمداد كثير لا قبل لهم به وألقى الرعب في قلوبهم ثم بدأ خالد انسحابه المنظم من ميدان القتال حتى عاد إلى المدينة.

أما قصة الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام بدافع واقعية التصور وإحساسه بالآخرين اتخذ قرارات خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ومباشرة تنفيذ بنفسه على الرغم من احتجاج موسى عليه السلام لكنه لم تكتمل لديه واقعية التصور إذا الحوادث الثلاث لكنه شرح ما قضى عليه بأسلوب قرآني الذي يخاطب العاطفة والعقل معاً قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا • وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا • فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا • وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٩-٨٢].

ولطيفة ما فعلته عن أمري لم يصدر عن الميل النفسي الذي لا يستند إلى منطق العقل ولايتسم بروح الحكمة فالمرء مادام يدرس قضاياه بناء على

تصور واقعي للأمور وإحساس صادق بالآخرين فله أن يتخذ من القرارات حتى وان اصطدمت بمشاعر الغير أول الأمر أولم تفهم بادئ ذي بدء على الوجه الصحيح فالتردد والاضطراب امام فرص الاختيار شر لايحمد منها .والتهور والاندفاع من اتخاذ القرار تطرف لايليق ولهذا جعل الإسلام الشورى صمام الأمان الذي يعصم من التهور في اتخاذ القرار والى ذلك الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران ١٥٩]. ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة ٢٣٣] (سيد قطب . مرجع سابق)

هناك فرقٌ جوهريٌ بين التشاور والعجز عن اتخاذ القرار فالعاجز شخص سلبي لافقه له بنفسه ويعول على غيره تعويلا مطلقا خوفا من العواقب. أما المتشاور فله رأي محدد ورؤية واضحة ولكنه يلتمس لرأيه مزيداً من القوة وينشد لرؤيته مزيداً من الوضوح ويوازن بين الآراء المختلفة والرؤى المتباينة ويناقش كلاً منها في موضوعية وحياد. فإن انتهى إلى القرار تحمل المسؤولية الأولية أمام ضميره والمسؤولية الاجتماعية أمام الناس والمسؤولية الدينية أمام الله، فقرار يحيطه الضمير الخلقي والمسؤولية الخلقية والتزام ديني جدير بأن يسدد ويقارب إن لم يصب الهدف مباشرة.

المبحث الثالث

الوسائل

المطلب الأول

التوجيه المباشر

هو أكثر الأساليب تداولا بين الآباء والمعلمين ويتضمن التحذير من رذيلة أو الحث على فضيلة. (عبدالرحمن النحلاوي-١٩٩٥م). للتوجيه أشكال كثيرة منها الخطب والنصائح والأوامر والنواهي وعلينا ألانتجاهل طبيعة الشباب بما تنطوي عليه من حساسية وقابلية شديدة للتعقد والانحراف ولا نسوق التوجهات على شكل أوامر فوقية لا تقبل التفاهم أو المراقبة بل تستلزم التنفيذ الفوري والتجاوب السريع. إن الإسلام حين يلجأ إلى أسلوب التوجيه المباشر لا يفوته أن يلف أوامره ونواهيه في قالب من الحنان الأبوي ومن شأن ذلك أن يمهد الطريق إلى قلوب الشباب نجد ذلك في وصايا لقمان لابنه قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وهو يكرر هذه الكلمة الحانية التي تفتح قلب الابن لحديث أبيه وكذلك إبراهيم مع ابنه إسماعيل ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. وكذلك يعقوب مع أبنائه ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن

بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

نلاحظ أن أمثلة التوجيه المباشر من شأنها أن تمكن الفضائل النفسية التي سبق أن بيناها وظهر ذلك جلياً في وصايا لقمان.

المطلب الثاني

السياحـــــــة

هناك الكثير من نصوص الإسلام توجه إلى أهمية السياحة في الأرض والتعرف على مافيها من مآثر وآثار والتعارف مع من فيها من الأجناس البشرية وتوثيقاً لروابط الأخوة والسلام قال تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢] أيضاً في قوله: ﴿فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ [الصافات: ١٣٧].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. والحج والعمرة في حقيقتهما رحلة سياحية كبرى يتجرد فيها المرء من زخارف الدنيا وشواغل الحياة ليكم صلته بخالقه عن طريق ما تثيره مناسك تلك الشعيرة.

يقول الإمام الشافعي:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا

وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

إزالة هم واكتساب معيشة

وعلم وآداب وصحبة ماجد

ومما تقدم نستخلص أن الرحلات السياحية في نظر الإسلام لابد أن.

أ- ترتبط بهدف تربوي واضح.

ب- تعمق روح الإحساس بالجماعة وتأكد نزعة الإيجابية بينهم وذلك من خلال التفاعل بين رفقاء الرحلة وبينهم وبين من يتعرفون عليهم من جهة الأرض.

ولكي يتم هذا التفاعل مع غرض السياحة لابد من أن يقترن موضوع الزيارة بقداسة روحية أو قيم أخلاقية معينة وعلى المشرفين على الرحلة إبراز هذا الجانب مع التنويه به.أما إذا اقترن موضوع الرحلة بشيء من مظاهر الهبوط الأخلاقي – لزيارة بعض الأماكن للعظة والعبرة – على المشرف أن يثير في نفوس الشباب مشاعر التقذذ والكراهية تجاه نقائصه وسلبياته حتى تحقق الزيارة واقعية التصور وأخلاقية الحكم جنباً إلى جنب.وبهذا يتضح الهدف التربوي إذا زرنا مكان قداسة أو معقل إجرام يتحقق الإعجاب بالقيمة أوالاستياء من السقوط

المطلب الثالث

الفـــــــــن

الفن وسيلة تربوية خطيرة يجب أن نحسن استغلاله وتوجيهه إلى ما نريد من قيم وأخلاقيات. وتأتي خطورة الفن من أثره العميق وقوته الفاعلة وانتشاره الواسع، والمرجع في ذلك كله هو ما يتجه إليه القائمون بالفن من مشاعر وما يرسمونه من أهداف فأدرك القدماء هذه الحقيقة المهمة فصبوا

علومهم في قوالب شعرية تشد الآذان وتسهل على الألسنة واشتهر من ذلك الألفية في النحو والرحبية في الفقه والجوهرة في التوحيد والشاطبية في القراءات واستخدم الأسلوب القصصي في عرض المبادئ الميتافزيقية (بعد الطبيعة) المعقدة والأفكار الفلسفية الصعبة فتخفف من تعقيد المبادئ وجفاف الأفكار ولكي يصبح الفن عاملا فعالا في بث القيم التربوية والأخلاقية ينبغي التنبيه إلى:

١- تعميم استخدام الفن كوسيلة في مراحل التعليم والإعلام ومنتديات الشباب.
٢- استيعاب كل ما يمكن من فروع الفن وأنواعه.
٣- التأكيد على قوة الارتباط بين العمل الفني والهدف التربوي.
٤- جودة العمل الفني الموظف لخدمة الأهداف التربوية على غير الأعمال الفنية في جذب اهتمام الشباب.

بهذه النظرة الراشدة للفن ودوره اتسم موقف الإسلام في الكتاب والسنة ونذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك شعر كل من حسان بن ثابت وكعب بن زهير حين لمس فيه مضامين عقائدية وأخلاقية يشيع فيها الاتجاه الإسلامي الخالص بل كان يحب شعر أمية بن أبي السلط ويريده كثيراً على الرقم من كفر أمية وذلك لما في هذا الشعر من قيم إسلامية سامية وكان يقول (آمن شعره وكفر فؤاده) (رفقي زاهر ١٩٨١م-ص٩٦) كذلك استخدم الرسول الله صلى الله عليه وسلم القصة كأسلوب تربوي ويظهر ذلك في قصص أصحاب الصخرة وقاتل المائة والمتكلمين في المهد وكلها من الأحاديث النبوية التي ترمي إلى غرس قيم أخلاقية معينة.

والأسلوب الأدبي الذي عرضت به القصص وطبع عليه النبي صار به قمة البلاغة العربية حتى قال له أبو بكر ذات يوم لقد طفت بين قبائل العرب وسمعت فصحائهم فما رأيت أفصح منك فمن أدبك؟) فأجابه الرسول قائلاً: (أدبني ربي فأحسن تأديبي).

كذلك نجد في القرآن الكريم كثيرا من الشواهد لاثنين من الأشكال الفنية يستهدفان تثبيت المثل العليا والقيم السامية هما السرد القصصي والحوار المسرحي.ولا يفوتنا أن نشير إلى أن بلاغة الأسلوب هي إحدى نواحي الإعجاز في القرآن الكريم والبلاغة نمط فني يزيد على مجرد التعبير.فالفن وسيلة تربوية فلنحسن استغلاله وتوجيهه إلى ما نريد من قيم وأخلاقيات.

المطلب الرابع

القـــــــدوة

تعني التحلي بمجموعة الفضائل والتخلي عن الرذائل. (ابن القيم الجوزية-١٩٨٣م).

إن تصور المعاني المجردة والقيم المطلقة دون أن تستند إلى جوهر تقوم به وتظهر فيه من أشق الأمور على الشباب لأن طبقة الشباب أميل إلى التجديد وأقرب إلى التجسيد إذا كان المرء ينشأ على تقليد أقرب الناس إليه وألصقهم به فإن ذلك يلقي المسؤولية على الأبوين أولا وتتلخص مسؤوليتهم في أن يكونوا أمام أبنائهم نوراً ومثلاً يحتذى وهذا يتطلب جهداً موصولاً في التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل وبفضل هذا يفوز

الأصل والذرية برضا الله ورحمته. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]

ثم المعلمون ثانياً فالشباب يصنع من معلمه بطلاً يتأثر خطاه ويتعقب أخباره ويترسم طريقه في التفكير وأسلوبه في الحياة.

وإذا كان الارتباط بالآباء والمعلم ينتهي عند مرحلة زمنية معينة فإن رعاية رجل الدعوة والوعظ والإرشاد تبدأ من سن التعقل وتمتد إلى نهاية العمر وإذا كانت رعاية الآباء تمثل مشاعر الولاء الأسريورعاية المعلم تمثل الأساس الارتباط الدراسي فان رعاية رجل الدعوة تمثل قداسة الدين والوحي المفهوم.لذا لايتوقع الشاب نقصاً في شخص رجل الدعوة خاصة في مجال العقائد والأخلاق.

لذلك أول مايفجع الشاب في ثقته مايجده في رجال الدعوة من الانفصال في العقيدة والعمل. أو بين المبدأ والسلوك هذا الانفصال الذي استنكره القرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]. ويدخل في نطاق القدوة مجموعة المعارف والأصدقاء الذين يلتقي بهم الشاب في أماكن جده ولهوه فيتأثر بهم فينقل عنهم. وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً • يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً • لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩] لذا لابد من تدخل الآباء والمربيين في اختيار الأصدقاء والتعرف عليهم لمعرفة الجانب المشرق الذي يمكن لفت الشباب أليه وترغيبهم.

إن المثل الأعلى لكل مسلم حقيقي والقمة القصوى لكل كمال بشري هو محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] كان ذلك بتشربه معاني القرآن وتمثل مبادئه في حياته فقالت عنه عائشة كان خلقه القرآن بل شهد له القرآن قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

لمعرفة القدوة لابد من إدراك الآتي من قبل الشباب:

١- لابد أن نفرق بين الدين ورجل الدين فالدين بوجهه السماوي مقدساً ومعصوماً مبرأً من النقائص والعيوب. ورجل الدين بوجهه الأرضي بشر معرض للنقص ولايقدح ذلك في سمو الدين الذي يدعو إليه.

٢- لايخلع عن الشخصيات التاريخية ثوب القداسة والعصمة ويمنحونهم المكانة الفذة ما يوشك أن يرتفع بها عن البشرية.

والأدق في ضرب المثل الأعلى للشباب على أنه بشر يصيب ويخطئ يقوى ويضعف يحالفه التوفيق أحياناً أي تقويم المثل الأعلى بموضوعية بحيث يبقى للشباب أمل المتابعة.

إن التزام القدوة بما يقول أمر ضروري لايمكن التساهل فيه عند الشباب فعلى المربي أن يحرص على أن ينسجم قوله مع عمله (رفقي زاهر- مرجع سابق).

الخاتمة

لابد من أن نولي الشباب أكبر قسط من الرعاية والاهتمام حرصاً على غدنا المرتقب ومستقبلنا المنشود. لأن مرحلة الشباب تنطوي على رصيد ضخم من الإمكانات والصلاحيات لتلبية قيمنا الراشدة وتحقيق أهدافها السامية وهذا لايأتي إلا بمنهج له مرجعية إسلامية ومنهجية تأصيلية ودراسة تخصصية.

النتائج

١- الافتخار والاعتزاز بالشباب يرفع المعنويات ويهذب الأخلاق ويفتق الطاقات.

٢- الاهتمام بالطفولة لتكوين المواهب والملكات والأخلاق.

٣- المواءمة بين المادية والروحانية للعيش في سلام من أي صراع.

٤- بعث الأمل في نفوس القانطين والعفو عن الخاطئين تقديراً لمرحلة الشباب وماتنطوي عليه من فوران في العواطف وقوة في الغرائز وحدة في الانفعالات.

التوصيات

١- عمل الدراسات العلمية والتحليلية لمشكلات الشباب ومحاولة وقايتهم من مسبباتها.

٢- النهوض بدور الحضانة ورياض الأطفال حماية للطفولة واحتراما للأمومة.

٣- تربية الشباب تربية تكاملية تهتم بجميع جوانب شخصياتهم خاصة الروحية والفكرية والاجتماعية والثقافية.ليكون كنانة النصر والأمل.

٤- بلورة الحلول الفكرية الأصيلة لأجيال الشباب بأساليب علمية رصينة تكون انطلاقات الشباب في المجتمع.

٥ - إبراز صورة حضارتنا المشرقة لشبابنا،ومقاومة حركة التغريب الفكري والاجتماعي.

المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري- صحيح البخاري- دار الجيل- بيروت- بدون.

٣- محمد السعيد بن السيد وني زغلول- مسند الإمام احمد- دار الكتب العلمية - بيروت- ١٩٩٣م.

٤- محمد بن عيسى بن سورة - سعد الترمذي

٥- الجامع الصغير/ دار الحديث - القاهرة.بدون.

٦- محمد بن يزيد الغزو يني- سعد بن ماجه/ دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٨م

٧- الحافظ بن أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي-الجامع لشعب الإيمان-الدار السلفية -الهند ٢٠٠٨م.

٨- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي-الجامع لأحكام القرآن-الهيئة المصرية العامة للكتب- القاهرة/١٩٨٧م

٩- أحمد بن على بن المثنى المتنبي- مسند بن يعلي المصلي-دار المأمون للتراث-دمشق- الطبعة الرابعة -١٩٨٤م

المراجع

١- إبراهيم محمد عطا-ثوابت المنهج الدراسي

٢- مركز الكتاب-القاهرة-٢٠٠٢م

٣- أبوبكر الجزائري- عقيدة المؤمن -دار الفكر بيروت-الطبعة الأولى ١٩٩٥م

٤- ابن القيم الجوزية-الروح-دار القلم/ بيروت ١٩٨٣م

٥- حسن عبد الله الترابي-الإيمان وأثره في حياة الإنسان-دار النشر الخرطوم -١٩٩٨م.

٦- سيد قطب -خصائص التصور الإسلامي ومقوماته -دار إحياء الكتب العربية القاهرة-١٩٧١م.

٧- شوقي أبو خليل -غزوة الخندق.دار الفكرالعربي-القاهرة-١٩٨١م.

٨- عبد الله ناصح علوان -تربية الأولاد في الإسلام-دار السلام للطباعة- القاهرة-١٩٨٥.

٩- علي خليل أبو العينين/ فلسفة التربية في القرآن الكريم -دارالفكر العربي/ القاهرة١٩٨١م.

١٠- عمر محمد توم الشيباني فلسفة التربية الإسلامية -دار الكتب ليبيا- ١٩٩٨.

١١- فؤاد عبد الله العميد-الإيجابية في حياتنا ٢٠٠٧م بدون.

١٢- ماجد عرسان-أهداف التربية في السلام - المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فرجينيا- ٢٠٠٥م.

١٣- ماجد عرسان فلسفة التربية الإسلامية-دار القمم-الأمارات العربية المتحدة-٢٠٠٢م.

١٤- محمد عبدالسلام العجمي-أصول التربية الإسلامية - الرياض - ٢٠٠٧م.

١٥- وفقي زاهر : فلسفة التربية الإسلامية - الطبعة الأولى ١٩٨١م.